

فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ وَيُشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ
يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ وَيَجْعَلَ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا
يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا
الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ * لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ

إرادة الله عز وجل - يوم الحشر

المحاضرات

اللقاء السابع عشر من تفسير سورة الأنعام - شرح الآيات 125 - 130

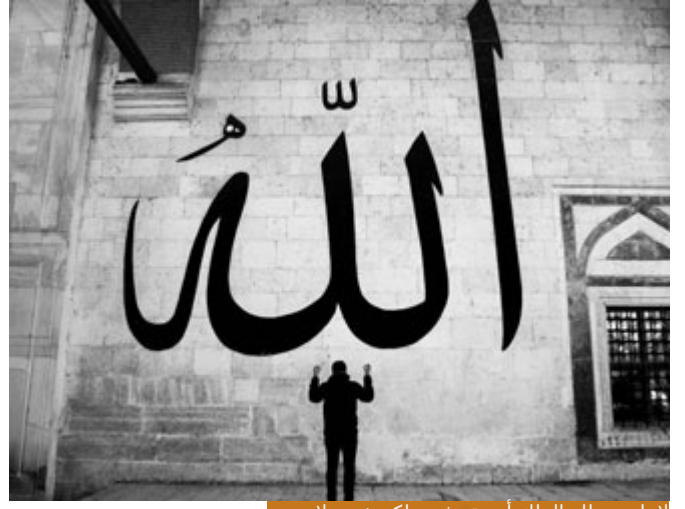
2023-11-04

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا الأمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين.
اللهم علّمنا ما ينفعنا، وأنفعنا بما علّمتنا، وزدنا علماً وعملاً يُثبّتُ يا رب العالمين، وبعد:
هذا هو اللقاء السابع عشر من لقاءات سورة الأنعام ومع الآية (125) وهي قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ ۖ يَشْرَحْ صَدْرَهُ ۖ لِلْإِسْلَامِ ۖ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ ۖ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ
الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (125)

الحقيقة أن هذه الآية الكريمة قد تُشكّل فهمها على غير طلاب العلم وأما على طلاب العلم فهي واضحة، ربنا -جلّ جلاله- له إرادة وإرادته تنقسم إلى قسمين؛ من صفاته أنه
مُريد -جلّ جلاله- وإرادته تنقسم إلى قسمين: إرادة كونية، وإرادة شرعية.

1-وأما الإرادة الشرعية: فهي ما يريد به ويحبه ويرضاه كإيمان المؤمن وإحسان المحسن هذه إرادة شرعية.



لا يليق بملك الملك أن يقع في ملكه شيء لا يريد

2-وله **إرادة كونية**: هذه لا ترتبط بالضرورة بما يحبه أو يرضاه، فكفر الكافر يقع بإرادة الله لكن بإرادته الكونية وليس بإرادته الشرعية؛ لأنه لا يليق بملك الملك -جلّ جلاله- أن يقع في ملكه شيء لا يريد، قد يقع في ملكه بإرادته شيء لا يرضاه أو لا يحبه لكنه يريد أن يقع، ربنا -جلّ جلاله- يريد أن يقع الشر أحياناً؛ الشر النسبي الذي يوظفه الخالق للخير المطلق، ما يحدث اليوم على أرض غرة يحدث بإرادة الله، المشافي التي تُقصف تُقصف بإرادة الله لكن ليس بأمره ولا يرضاه، هو لا يرضى عن ذلك -جلّ جلاله- ولا يأمر به لكنه يريد؛ بمعنى أنه يسمح لأعدائه المتكبرين المتغترسين أن يُغرغوا حقدهم وغلهم، وأن يفعلوا ما يبدو للناس أنهم يفعلون ما يشاءون، وفي الوقت نفسه يتخذ من عباده المؤمنين شهداء يرفعهم إلى منازل عالية يكفر عنهم خطيئتهم ويرفع درجاتهم، فكل ما يحدث في الكون يحدث بإرادة الله، ولا يليق في ملك الملك أن يقع في ملكه شيء لا يريد **(فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَمْشُرْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ)** فهذا أراد الله تعالى الهداية بشخص فشرح صدره؛ بمعنى أنه وسّع صدره لقبول الحق، يوسع صدره لقبول الحق، يزين الحق له، يهيئه لقبول الحق، وبعد حين يجعل قلبه متعلقاً بالحق، كان بعض العارفين يقول: "يا رب، نخشى ألا تثبينا على طاعتنا لأننا نفعل ما تهوى أنفسنا" أي هو يقوم إلى الصلاة لشيء يحبه حاله "أرحنا بها يا بلال" فمن شدة ما شرح الله صدره للحق والخير أصبح يفعله حباً وكرامة لا تكليفاً، فأصبح يخشى على نفسه ألا يثاب عليه لأنه يفعل شيئاً يحبه، ومن هنا جاء في الحديث:

{ لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به }

(أخرجه ابن أبي عاصم، والخطيب، والبيهقي باختلاف يسير عن عبد الله بن عمرو)

أي الإيمان الكامل المطلق، **(حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به)** يحب الخير، يحب الحق، يحب أهل الحق، فهذا منشراح الصدر أيضاً، فالله تعالى يهدي عباده، بدايةً يهدي كل عباده، كل العباد هداهم الله؛ بمعنى أنه دلهم على الطريق، الهداية بمعنى الدلالة هذه حصلت لجميع الخلق، قال تعالى:

يَسْمِ اللّٰهُ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمَ
اِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدٰى (12)

(سورة الليل)



يَكْفُلُ اللَّهُ تَعَالَى بِهَدَايَةِ خَلْقِهِ

تَكْفُلُ الله بهداية خلقه، الآن الذين استجابوا هداية التوفيق وهي المعنية في هذه الآية **(فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَمْشُرْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ)** لماذا شرح صدر هذا للإسلام وجعل صدر هذا ضيقاً حرجاً، انتقاء؟ معاذ الله، حاشا لله تعالى أن ينتقي من عباده صنفاً يهديهم هكذا، وصنفاً يضلهم هكذا ثم يدخل المهتدين الجنة والضالين النار، وعندها- والعياد بالله- تكون للناس حجة على الله، يقول: "يا رب، هديته ولم تهديني"، لا، يهدي من أراد الهداية ويضل من أراد الضلالة، فالهداية منه والإضلال منه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالَّذِينَ هُمْ يَدْعُونَ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ (17)

(سورة محمد)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنِّي أُفْصِحُ لَكُمْ لِقَاءَ رَبِّكُمْ وَأَنَا نَذِيرٌ لَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِن كُمْ لَا تُفْسِقُونَ (5)

(سورة الصف)

(فَمَنْ يُرِدْ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَفْرَحْهُ مُرْتَضًى يَهْدِيهِ لِقَابٍ ذِي قَدْرٍ وَمَنْ يُرِدْ اللَّهُ أَنْ يَضِلَّهُ فَلَا يُغْنِي عَنْهُ كُفْرُهُ أَتَىٰ حَقَّهُ يَضِلْ) يهتبه لقبول الحق ثم يحجب الحق إليه ويزينه في داخله، فتجده متقاداً للحق، يحب الحق وأهل الحق، ومن يرد أن يضلّه لأنه أراد الضلالة وسعى إليها، فأراد الله له الضلالة ولم يأمره بالضلالة ولم يرصّ له الضلالة، كقوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْصُقْ لِعِبَادِهِ لَكُمْ فَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْصُقْ لَكُمْ وَلَا يَزِرْ وَزِرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (7)

(سورة الزمر)



قانون الجاذبية يجذب الأشياء إلى الأسفل

فهو لا يرضى لعباده الكفر والصلال، ولكنه يريد لمن أراد الصلال فيريد الله له الصلال (وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُصَلِّهَ يَجْعَلْ صَدْرَهُ صَبِيحًا حَرًّا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ) الصدر ضيق بمعنى أنه لم يعد في داخله متسع للهدى والخير، صدره بحجم صدر الآخر، الصدر كناية عن داخل الإنسان لا يختلف بين إنسان وآخر، كيف يضيق الصدر؟ أنت تتزوج، في بداية زواجك تأخذ بيتاً من غرفتين، تقول: بكفيني أنا وزوجي، يأتيك ولد صغير، تقول: البيت جيد، ولدان ثلاثة، تقول: ضاق البيت بي، البيت ما عاد يتسع لوجود أشخاص جدد في داخله، فعندما يمتلئ قلب هذا الإنسان بالصلال فيصبح صدره ضيقاً لا يقبل الحق، ويصبح حرجاً والحرج أعلى من الضيق، حرج عليه كذا أي ضيقه عليه وربما منعه منه، (صَبِيحًا حَرًّا) أي بدأ بالضيق ثم بالحرج كأنه قال: ضيقاً أشد ضيق ممكن، قال: (كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ) أي كأنما يتكلف أمراً لا يطيقه، الإنسان لا يطيق أن يصعد في السماء، يطبق أن ينزل إلى الأرض وفق قانون الجاذبية الإنسان إذا نزل عن السُّلَّم ينزل بسهولة، إذا أراد أن يصعد يصعد بصعوبة؛ لأن قانون الجاذبية يجذب الأشياء إلى الأسفل، فإذا خالف القانون وصعد فإنه يجد صعوبة في الصعود، وقال: (يَصْعَدُ) ولم يقل: يصعد، انظر إلى هذه الصورة (كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ) فهو غير قادر على قبول الحق كحال إنسان يتكلف شيئاً لا يطيقه، فإذا جلس في مجلس فيه خير، فيه علم يقول لك: ما استطعت أن أجلس يا أخي، هؤلاء يتكلمون في الغيبات، إذا كان يقلب في الهاتف، وبرز له مقطع فيديو يتحدث عن الآخرة يجاوزه لا يريد أن يسمعه، يشعر أن الخير شيء فوق طاقته، (كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ) فهذا أصله الله على علم، وأصله الله لأنه أراد الصلالة، وهذه الآية فيها إشارة علمية لو أردنا أن نفسرها تفسيراً علمياً إلى أن الإنسان عندما يصعد في السماء فإنه يقل الأكسجين، الأكسجين كلما نزلنا إلى الأرض يكون أكثر، فإذا صعدت في مرحلة معينة ربما تنفجر شرايين الإنسان يصبح في حالة حرج شديد وضيق شديد، يبدأ نغسيه بالتضيق إلى أن يصل إلى مرحلة عالية جداً، فإذا لم يكن هناك تدابير لازمة من الأكسجين كما يفعلون في الطائرات فيضغطون الطائرة بالأكسجين، فإنه يضيق صدره ضيقاً عظيماً حتى يفقد وعيه، ففيها إشارة علمية إلى أن الصعود في السماء عند انخفاض الأكسجين يؤدي إلى اختلال الضغط الجوي مما يؤدي إلى مشكلة الضيق والحرج في الصدر، وهذه لم تكن تُعلم وقت نزول الوحي، وإنما الذي فهمه الصحابة منها ومن بعدهم بأن الإنسان يتكلف شيئاً لا يطيقه عندما يرغب في الصعود، فكيف يصعد فيحمل نفسه شيئاً لا يطيقه، ومع ذلك فإن الله -عزَّ وجلَّ- لما ذكر موضوع التاركين للجهاد القاعدين عن الجهاد، قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَأَقَّلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ۖ أَرْضَيْتُمْ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا مِنَ لَذَّةِ جَزَةٍ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا فِي لَذَّةِ جَزَةٍ إِلَّا قَلِيلٌ (38)

(سورة التوبة)

فسمي القعود في الأرض تآقلاً، وهو أنه الأيسر على الإنسان أن يجلس في الأرض لأنه هو وفق قانون الجاذبية، ولكنه لما ترك معالي الأمور، لما ترك الخير، ترك كلمة الحق، ترك الجهاد بماله أو بنفسه فهو متأقل إلى الأرض يريد الحياة الدنيا ولا يريد الحياة العليا، قال: (كَذَلِكَ) أي كحال هذا الذي يصعد في السماء (كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ لِلرَّجْسِ) أي العذاب (عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ) بالله تعالى، (كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ لِلرَّجْسِ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ) أي كما أنه أضلهم وحجب عنهم الحق عندما رفضوا الحق فأصبحوا لا يطبقونه فهذا السبب يستحقون العذاب من الله تعالى، واستحقاقهم للعذاب هنا دليل واضح على أنهم هم من أعرضوا عن الحق، وأن الله أضلهم تجسيدا لرغبتهم التي أرادوها وهي الضلال، (كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ لِلرَّجْسِ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ) ثم يقول تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَهَذَا صِرَاطٌ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۖ قَدْ فَضَّلْنَا لَكَ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (126)



الصراط هو الطريق السوي

أي إذا أردت أن تكون ممن شرح الله صدره للإسلام فاسلك الصراط المستقيم حتى يشرح الله صدرك للإسلام (وَهَذَا صِرَاطٌ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا) هذا يعني واضح، أي أنه واضح لا لبس فيه ولا غموض، والصراط هو الطريق السوي لكن مع استوائه أي إمكانية السير فيه قد يكون معوجاً، أما الصراط المستقيم فهو لا اعوجاج فيه، والمستقيم هو أقصر طريق بين بداية ونهاية، رياضياً المستقيم أقصر طريق بين بداية ونهاية، (وَهَذَا صِرَاطٌ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا) أي يصل بك بأسرع ما تتصور إلى الحق، (قَدْ فَضَّلْنَا لَكَ آيَاتٍ) أي قد وضعناها وبينها بشكل لا لبس فيه ولا غموض، (قَدْ فَضَّلْنَا لَكَ آيَاتٍ) يسواء الآيات القرآنية، أو الآيات الكونية التي تدل على وجود الله، أو آيات الأفعال التي تدل على وجود الله من خلال أفعاله العظيمة في الكون، (قَدْ فَضَّلْنَا لَكَ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ) والتذكر يدل على أن الإنسان عنده شيء مركوز في داخله فيذكره؛ بمعنى أنه يذكر الفطرة التي فطر عليها، قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (127)

هذه جملة اسمية (لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ) أصلها دار السلام لهم؛ دار: مبتدأ، ولهم شبه جملة: خبر، السلام: مضاف إليه أضيف إلى الدار، (دار السلام لهم) هذا أصل الجملة، ثم جاء الخبر قبل المبتدأ فقال -جل جلاله-: (لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ) وهذا إشارة إلى أن دار السلام لا يستحقه إلا المؤمنون، فالتقديم والتأخير يفيد التخصيص والحصص والقصر (لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ) كأنه قال: دار السلام لهم وحدهم، وهذا من بلاغة اللغة العربية الاختصار، لا داعي لأن نقول: دار السلام لهم وحدهم دون غيرهم، (لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ) إذا وحدهم دون غيرهم، أما دار السلام لهم أي ولغيرهم إن لم تنص على خلاف ذلك، كما مر معنا قبل الآيات:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ ۖ لَأَمْنٌ وَهُمْ مُّهُتَدُونَ (82)

(سورة الأنعام)



كلمة الدار أوسع من البيت

أي لهم وحدهم دون غيرهم، فهذا التقديم والتأخير يفيد الحصر والقصر والتخصيص (لَهُمْ دَارٌ ۖ لِّلسَّلَامِ)، وهذه الدار أوسع من البيت، البيت يبيت فيه الإنسان فيسمى بيتاً، أما الدار فيها حياته ومبته، يقول: هذه داري أي نشأت بها، تربيت بها، أعمل بها، أجلس مع أهلي بها وأبيت بها، فكلمة الدار أوسع من البيت وإن كان كل منهما يدل على الآخر، وهذه الدار دار سلام بمعنى أنهم يسلمون فيها على أنفسهم من كل مكروه، وهي دار الجنة، والله تعالى هو السلام، ومن أسمائه السلام، وأضاف السلام إلى هذه الدار ليدل على أنها دار لا نكد فيها ولا صخب، في الدنيا مهما كانت الظروف مهيأة للسلام في بيتك؛ المأكّل، المشرب، الملبس، الزوجة، الأولاد، لكن شعور السلام الكامل مستحيل في الدنيا، يكفي أن هذه الدار قد تفارقك وقد تفارقها، لا يوجد إنسان في الأرض يستطيع أن يقول: هذه الدار لي إلى ما لا نهاية، إما أن تفارقك-نسال الله السلامة- إن لم تفارقك ببيع أو شراء فإنها تفارق اليوم بعض الناس- نسال الله لهم الحفظ -بقصف، بزلزال، فهذه ليست دار سلام، لا يسلم الإنسان فيها على نفسه مهما أعدّ فيها، باهتزاز بالأرض تصبح الآلاف المؤلفة من الأبنية قاعاً صافئاً لا تجد فيها شيئاً، فهي ليست دار سلام في الدنيا مهما أعددت فيها من وسائل السلام، أما دار الآخرة سلام تسلم فيها لا أحد يطرق بابك ليراجعك بشأن بيع أو شراء الدار، ولا الضرائب، ولا زلزال، ولا قصف، ولا شيء، هذه دار السلام عند الله وهي الجنة، (لَهُمْ دَارٌ ۖ لِّلسَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ) هذه العندية إذا أحدهم قال: لك عندي مكافأة، فانت تنظر في هذه الكلمة (عند)، عند من؟ عند من يقول، من هذا الذي تقول؟ إذا قال لك: عند الملك، غير أن يقول لك: عندي، فكلما عظم شأن ما بعد (عند) كان ما فيها أعظم، فكيف إذا قال لهم: دار الإسلام عند ربهم، الرب الذي يُمدّ ويُعطي، يمدهم بهذه الدار (وَهُوَ وَلِيُّهُمْ) وهو -جلّ جلاله- ناصرهم ومؤيدهم، الولي هو من ينصرك ويؤيدك ويعينك، (يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) أي بسبب أعمالهم الصالحة في الدنيا استحقوا هذه الولاية من ربهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا بُعْثَتِ ۖ لَّجَنٌ ۚ قَدْ سَخَّرْتُمُ مِّنَ ۖ الْإِنسِ ۚ وَقَالَ أُولَٰئَاؤُهُم مِّنَ ۖ الْإِنسِ رَبَّنَا ۖ سَمِعْتَ بِعَصْنَا يَبْقُصُ ۖ وَتَلَعْنَا أَجَلَنَا ۖ لَّذِي أَجَلْت لَنَا قَال ۖ لِّلنَّارِ مَوْتُكُمْ ۖ خُلِدِينَ فِيهَا ۖ إِلَّا مَا شَاءَ ۖ اللَّهُ ۖ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (128)



المعشر هم الأشخاص الذين يعاشرون بعضهم

(وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ) واذكر أنها الرسول لقومك يوم الحشر: يوم يجمع الله تعالى ويحشر الخلائق كلهم، يحشر الإنس ويحشر الجن، ثم يخاطب الجن ما الذي يحصل يوم يحشرهم، هذه طرف (يوم) تحتاج إلى شيء مطروح يقع به الطرف، ما هو؟ هو يقول لهم بهذا المعنى يقول الله تعالى: (تُبْعَثَرُ ۖ لَّجَنٌ) والمعشر هم الأشخاص الذين يعاشرون بعضهم وقد يتفقون في شيء معين فيسمون معشراً، كان يقال: يا معشر النجار، أو يا معشر الوزراء، وقد تكون أمة مختلطة فيها من فيها لكن يجمعهم شيء معين فيقال: يا معشر السوربين، أو يا معشر المصريين؛ فالعشرة هي الاختلاط. (تُبْعَثَرُ ۖ لَّجَنٌ) اشتركوا في أنهم غابوا، الجن من الغياب، جن الليل غاب اختفى، الجن اختفوا عن أعين الناس فسموا جنّاً (تُبْعَثَرُ ۖ لَّجَنٌ ۚ قَدْ سَخَّرْتُمُ مِّنَ ۖ الْإِنسِ) طبعاً هنا معشر الجن المقصود به مرده الجن شياطين الجن، وليس الجن المؤمنين بدليل (قَدْ سَخَّرْتُمُ مِّنَ ۖ الْإِنسِ) بالإضلال أي بالعامية أخذتم راحتكم (قَدْ سَخَّرْتُمُ مِّنَ ۖ الْإِنسِ) إضلالاً وغواية ووسوسة وبعداً عن الحق وحفلات ماحنة وطغياناً وفساداً، (قَدْ سَخَّرْتُمُ مِّنَ ۖ الْإِنسِ) وقال أُولَٰئَاؤُهُم مِّنَ ۖ الْإِنسِ) الذين أطاعوهم: الولاية فيها معنى الطاعة، فهؤلاء الذين أطاعوا الشياطين من الإنس ماذا كان جوابهم؟ قالوا: (رَبَّنَا ۖ سَمِعْتَ بِعَصْنَا يَبْقُصُ) الاستمناح كان من الطرفين، الجن استمعوا بطاعة الإنس لهم والإنس استمعوا بشهواتهم، فدائماً الاستمناح يكون من الطرفين فالإنسان عندما يقول يوم القيامة: يا رب أنا فلان أصلي، وأنت ألم تستمع بهذا الصلّا؟! ألم تصع له فؤادك؟! ألم تنصع إليه؟! قالوا: (وَقَالَ أُولَٰئَاؤُهُم مِّنَ ۖ الْإِنسِ رَبَّنَا ۖ سَمِعْتَ بِعَصْنَا يَبْقُصُ) الجن بالإنس والإنس بالجن، الجن يستمعون عندما يجدون كلمتهم نافذة فالشياطين إذا رأى مجموعة كبيرة من الناس في حفلة ماحنة هذا يسره، وإذا رأى الناس يقتل بعضهم بعضاً يسره، والإنس عندما ضلوا عن الطريق يظنون أنهم استمعوا، هي حقيقة منعة لأن الدنيا متاع، ما يسعدون لكن يستمعون، (رَبَّنَا ۖ سَمِعْتَ بِعَصْنَا يَبْقُصُ) وتَلَعْنَا أَجَلَنَا ۖ لَّذِي أَجَلْت لَنَا) هو يوم القيامة: الأجل أو الموت، أجل أول وهو الموت لكن دلالة الكلام هنا أن الأجل المقصود به هو يوم القيامة، (وَتَلَعْنَا أَجَلَنَا ۖ لَّذِي أَجَلْت لَنَا ۖ قَال ۖ لِّلنَّارِ مَوْتُكُمْ) النار متواكم أي مكان إقامتكم، الإنسان إليوم تسأله أبي تقيم؟ يقول لك: في جي كذا، ما شاء الله!! منوأي رافي، فكيف إذا كان المنوأي هو النار مكان الإقامة، ليس زيارة، ليس سياحة إقامة دائمة (قَالَ ۖ لِّلنَّارِ مَوْتُكُمْ ۖ خُلِدِينَ فِيهَا) الخلود هو الاستمرار (إِلَّا مَا شَاءَ ۖ اللَّهُ) وهذه (إِلَّا مَا شَاءَ ۖ اللَّهُ) في كتاب الله عندما تأتي حتى مع أصحاب الجنة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
خُلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتْ السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ قَعَالٌ لَّمَّا يُرِيدُ (107)

(سورة هود)



لا يوجد شيء في الكون إلا بمشيئة الله

الجنة والنار (إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ) أشكلت على علماء التفسير، هنا دلالة الكلام أن هؤلاء ما داموا أولياء للجن وغير ذلك فهم مستحقون للخلود الأبدى في النار، فهل يُخرجون منها؟ وأيضاً في الجنة الخلود أبدي، لماذا جاء (إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ)؟ الحقيقة هذا لبيان طلاقة القدرة الإلهية؛ أي لا يوجد شيء في الكون إلا بمشيئة الله، فهذا الاستثناء ليس المقصود منه أن يُخرج جزءاً من الكل، أي (إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ) فيخرجهم، لا، هي كلها خاضعة للمشيئة، فلا تظن أن شيئاً يحصل في الوجود إلا بمشيئة الله، وقال بعضهم: بل هنا (إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ) هذا من مبعثهم من قبورهم إلى دخولهم النار هذا ليس مكان خلود في النار، قبل الدخول إلى النار من المبعث، الحساب، العرض على الله إلى أن يدخلوا النار هذا الوقت مستثنى من النار؛ هذا (إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ) والله أعلم، (إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ) حكيم في تقديره -جلّ جلاله- وتديره، عليم بعباده ومن يستحق منهم العذاب والعقاب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا ۖ يَمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ (129)

أي وكما ولينا المردة من الجن وسلطانهم على بعض الإنس (وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا) أي ليس الأمر مقتصرًا على الجن والإنس؛ أي ظالمين فإن كلا منهما يتولى الآخر (يَمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ) أي سبب ما كانوا يكسبونه من المعاصي، فالظالم ولي للظالم يناصره ويؤيده ويحثه على الشر، والثاني يفعل ذلك نفسه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يُعْشِرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ ۚ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي وَيُزِدُّونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا ۚ وَغَرَّبَهُمْ
لِخَيُوتِهِمْ ۚ لَدُنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ (130)

وقدم هنا الجن على الإنس لأنه خاطبهم قبل آية (يُعْشِرَ الْجِنَّ) هو التقديم أيضاً لتقديم زمني لأنه قد ثبت أن الجن خُلقوا قبل الإنس، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارٍ ۖ السَّمُومِ (27)

(سورة الحجر)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56)

(سورة الذاريات)

لكن هنا (يُفَعِّشَرُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ) التقديم له علاقة أيضاً بالحديث هنا عن الجن وفعلهم مردة الجن الشياطين، (يُفَعِّشَرُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ أَلَمْ يَأْيَكُمُ رُسُلُ مِّنْكُمْ) هذا استفهام تقريرى ليقرر لهم الحقيقة، (أَلَمْ يَأْيَكُمُ رُسُلُ مِّنْكُمْ) والرسول عند جمهور أهل العلم لا يأتون من الجن وإنما الرسل من الإنس، واستدلوا على ذلك بأدلة ليس هنا مجال تفصيلها، فقالوا هنا: (رُسُلُ مِّنْكُمْ) أي من الإنس من أنفسكم من الإنس، وقد يكون مع شخص مئة دينار ومعه شخص آخر فتقول: معكما مئة دينار، والمقصود أن مع واحد منهما مئة دينار، (أَلَمْ يَأْيَكُمُ رُسُلُ مِّنْكُمْ) أي من الإنس، والجن رسلهم هم رسل الإنس يسمعون ويبلغون كما حصل مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فُلْ أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّهُ سَتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (1) يَهْدِي إِلَىٰ الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (2)

(سورة الجن)



الغرور أن ترى الشيء بأكبر من حجمه إلى آخر الآيات، (أَلَمْ يَأْيَكُمُ رُسُلُ مِّنْكُمْ يُفَعِّشُونَ عَلَيْكُمْ) القص هو تتبع الأثر، (يُفَعِّشُونَ عَلَيْكُمْ عَائِي) أي من لجن آدم إلى يوم القيامة يقصون عليكم الآيات التي نزلت من الله تعالى، (وَيُنذِرُوكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا) يخوفونكم يوم القيامة يوم الوقوف بين يدي الله، (قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا) اليوم ليس يوم كذب، اليوم يوم تنطق الجلود، وتشهد الجلود، وتنطق الأرجل والأيدي بما كانوا يكسبون، (قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا) وعَرَّيْنَاهُمْ لَخَيَوتَهُمُ الدُّنْيَا ما الذي دفعهم إلى تناسي اليوم الآخر الذي أنذره إياهم رسلهم؟ أن الحياة الدنيا غرتهم أي أعطوها أكبر من حجمها، ما هو الغرور؟ أن ترى الشيء بأكبر من حجمه فيغرك تقول: والله غرني مظهر هذه الوردة فلما اقتربت منها إذا هي وردة صناعية، والله غرتني، فالغرور هو أن تظن الشيء على خلاف ما هو عليه لو لم يكن أكبر من حجمه مثلاً:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (6)

(سورة الانقطار)